مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (١)
الإصدار الواحد والثلاثون
(١-٢٥) ٢٠٢٦

العلاقات التجارية بين غدامس والبلاد التونسية عبر مشاهد حية

امال غراب
دكتورة في تقنيات وعلوم التصميم
استاذة جامعية بالمعهد العالي للفنون والحرف بقابس، جامعة قابس، تونس

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ يناير ٢٠٢٦م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تتناول هذه الدراسة بشكل معمق ودقيق الأسواق عبر الصحراء الكبرى التي تمتد من شمال إفريقيا إلى العمق الصحراوي، محددة جغرافيًا من مدينة غدامس إلى أسواق شمال تونس. تهدف الدراسة إلى تحليل هذه الأسواق ليس فقط كمراكز تجارية لتبادل السلع، بل أيضًا كبؤر حيوية للتفاعل الثقافي والاجتماعي بين الشعوب المتعددة التي مرت وتداولت في هذه المنطقة الصحراوية.تبدأ الدراسة بتصنيف الأسواق إلى نوعين رئيسيين: الأسواق الدائمة، التي كانت تعمل على مدار السنة مثل سوق غدامس وأسواق الجنوب التونسي، والأسواق الموسمية المرتبطة بدورات التجارة والقوافل. كما تركز على دراسة شبكات التجار المرتبطة بغدامس ودورها الحيوي في ربط الصحراء بالمدن الكبيرة في شمال إفريقيا، مما يسهم في نقل السلع المتنوعة بالإضافة إلى المواد والأنماط المعمارية التي أثرت بشكل واضح في تطور العمارة المحلية والتقاليد الاجتماعية لتلك المناطق.من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، توضح الدراسة كيف كانت هذه الأسواق بمثابة نقاط التقاء متميزة تسمح بتشكيل روابط ثقافية واقتصادية مستدامة عبر الزمن، ما جعلها بمثابة جسور تواصل بين حضارات متعددة. كما تسلط الضوء على الأثر المستمر لهذه الأسواق التقليدية في التخطيط الحضري الحديث، وخاصة في إنشاء المناطق التجارية الحرة والمشاريع التنموية التي تستفيد من تراثها الاقتصادي.

بالإضافة إلى ذلك، تركز الدراسة على الواحات ومحطات إمداد المياه التي كانت تلعب دورًا أساسيًا في استدامة شبكات القوافل الصحراوية. يتم تناول أربع حالات دراسية ليبية هي: غدامس، غات، مزدة، سبها، إلى جانب منطقتي زنزفة (الدويرات) ووادي زنداك. تحلل الدراسة الأبعاد الهيدرولوجية لهذه المحطات، وتقنيات إدارة المياه التقليدية مثل التي تعتمد

على الاستغلال الذكي للموارد المائية تحت الأرض، ودورها في رسم مسارات القوافل التي شكلت بدورها النمط الحضري لهذه المناطق.

تشير النتائج إلى أن هذه الواحات ومحطات المياه لم تكن نقاط توقف عادية، بل كانت بمثابة مراكز حضرية متكاملة تجمع بين الوظائف الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية، مما يجعلها محركات رئيسية في تشكيل أنماط الاستيطان وصياغة العمارة المحلية. تبرز الدراسة الأهمية التركيبية لهذه المؤسسات في ربط الشق المائي بالتنمية العمرانية والتجارية، مؤكدة على الدور المزدوج الذي لعبته في تعزيز التخطيط المستدام الذي يجمع بين الموارد الطبيعية والأنشطة الإنسانية عبر التاريخ.

لذلك، فإن الدراسة تقدم إسهامًا علميًا هامًا في فهم كيف شكلت الأسواق والواحات معًا شبكة معقدة تجمع بين التجارة، الثقافة، والبيئة، مسهمة في تكوين الهوية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة الصحراوية الكبرى. كما تعتمد على توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لإنتاج صور إيحائية تدعم التفسير البصري للمفاهيم المدروسة، مما يعزز الطابع التفاعلي والتوضيحي للبحث.

*** المقدمة**

تُعد ندرة المياه في الصحراء الكبرى المحدد الأساسي لطرق القوافل منذ آلاف السنين. ولدت شبكات القوافل حول الواحات ومحطات التزوّد بالماء التي تسمح للإبل والبشر بالمرور بأمان. وتشكل هذه المحطات عناصر مركزية في الخرائط التاريخية للصحراء، إذ لم تكن مجرد نقاط لوجستية بل مراكز حضرية واقتصادية وثقافية[1].

تتمثل إشكالية البحث في السؤال: كيف ساهمت الواحات ومحطات التزوّد بالماء في بناء شبكة طرق القوافل، وما وظائفها المتعددة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والمعمارية؟

*** أهداف البحث**

١- توثيق أهم الواحات على الطريق القوافلي والمحطات في ليبيا والمناطق المجاورة.

٢- تحليل دور هذه المحطات في دعم النشاط الاقتصادي والاجتماعي للواحات.

٣- إبراز أثرها على العمارة والأنماط الحضرية مثل عمارة الواحات، غدامس وتونس نموذجا .

وتعتبر الأسواق من أقدم مظاهر النشاط الاقتصادي والاجتماعي في التاريخ، فهي ليست مجرد أماكن لتبادل السلع، بل نقاط التقاء حضارية تربط الشعوب المختلفة بلدان القارة الإفريقية سواءا عبر الصحراء أو بواسطة البحار أو الأنهار.

وتكمن أهمية الأسواق عن طرق القوافل التي كانت شبكات تربط مدن تونس من الجنوب الى الشمال مرورا بتطاوين وقابس عبر(الجادة) وصولا إلى طرابلس وأيضا مدن جنوب غدامس مثل غاو، تمبكتو إلخ... وهي من أهم وسائط التجارة عبر الصحراء. هذه الشبكات لم تنقل البضائع فحسب، بل أسهمت في التفاعل الثقافي اللغة، اللباس، الفنون،

[1] Leon Pervinquière, La tripolitaine interdite Ghadams, Paris, Librairie Hachette, 1912, p33

والعادات الاجتماعية. ومن علائم ذلك أن الكاهنة كانت تقوم ببعث سجنائها من تونس إلى غدامس، تأكيدا للطريق الواصل بين تونس و ليبيا. وسنتحدث عن النشاط التجاري لهذه الأسواق ضمن مرحلة معينة عبر التاريخ الوسيط والحديث (قبيل فترة إعلان الحماية) مدعمين هذا النشاط بمشاهد حية عن طريق الذكاء الإصطناعي.

فماهي النّمة « thème » المحسوسة في هذا الموضع؟ وكيف ساهمت الأسواق الدائمة والموسمية في تبادل السلع بين شمال إفريقيا وعمق الصحراء؟ ووفق أي منهج أو طريقة تم تشكيل العمارة المحلية والعادات الاجتماعية المرتبطة بالتجارة؟

لقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهجية التالية: –

١– نشأة طرق القوافل

٢– الإطار الطبيعي

٣– الاقتصاد الواحي

٤– غدامس

٥– حاضر حكم الساعة

*** نشأة طرق القوافل**

ولدت الطرق الصحراوية نتيجة الحاجة إلى نقاط التزوّد بالماء، وليس لقصر المسافات فقط، بل يحدد الماء سلوك السالك والطريق إبن الماء كما أن المدينة بنت الطريق. تبنى نظام المسارات حول مسافة يمكن للإبل عبورها دون مياه إضافية، مما خلق شبكة من الواحات المرتبطة ببعضها. ونخص بالذكر واحة الرمادة، استراحة تملست وهي تعتبر منطقة رشاحة تتزود منها القوافل بالماء.

١– نظام القوافل

أ– القوافل كانت منظمة من حيث توقيت الانطلاق وعدد الإبل والحمولة المسموح بها مع الإشارة أن الجمل العابر للصحراء له مميزات خاصة٢.

ب– وجود حراس وأفراد مسلحين لحماية القوافل من قطاع الطرق والهجمات.

ت– القوافل كانت تتوقف عند الأسواق الموسمية والدائمة لاستكمال التبادل التجاري أو الراحة.

مستوى اليقين: مرتفع، معلومات الطرق والقوافل موثقة في السجلات التاريخية للرحالة الأوروبيين مثل Heinrich Barth، والمصادر الإثنوغرافية.

*** دور الواحات في طرق القوافل: الواحات قناطر الخير**

*** الطرق الرومانية في أفريقيا.**

٢ ذكر هذا الحشايشي في رحلته الصحراوية

تسمية الطرق الرومانية مستمدة من أصل تاريخي وجغرافي. في أفريقيا الرومانية، يغلب الأصل الجغرافي، حيث تشتهر الطرق الرومانية في أفريقيا[٣].

ذكر بلين الأكبر قبائل الجرمنت التي تكون عند منطقة ذهيبة احد المحطات الواقعة في الطريق الى قبيله الفزانيين المستقرة في غدامس سيداموس و تيلباري رماده وتلالاتي في تلالت[٤]

تعتبر مشاكل الطريق كما يؤكد سالوست ذات خطورة كبيرة مثل الثعابين في منطقة الآكوكس حول كابسا، حيث يمكن أن تظهر الثعابين في خيال المسافرون مثل الحيوانات الأكثر رعبا .

١- العقرب هو حيوان آخر رمزي لشمال إفريقيا.

٢- بالنسبة لبلاين، لا يشكل الأسد الأفريقي خطرا حقيقيا على الإنسان[٥]. وهذا يعني أن الخطر كله يأتي من الزواحف السامة ومن هنا تحظى العقرب والأفعى ذات القرون بالخطر الأهم.

ومن خصائصها انها تحتوي على عين جبلية دانية الجريان. فقد عمد اهل الارض الدويرات على استصلاح هذا السفح وتقسيمه الى مقاسم صغيرة الحجم مرجع مراجع شريكة تحد لكل عائلة نصيب عائلة عازق مثلا

وقد تركت الان لم ينعهدها اهلها كما لم تهتم بها جمعية الدويرات التي قدمت الكثير من الخدمات في نطاق الحفاظ على التراث الدويري وهي مازالت فاتحة تصارع الاهمال رغم وجود الماء المتسرب من الجبل[٦].

الواحات تمثل العقد في شبكة الطرق، والمسارات هي الحواف. تتغير الطرق حسب حالة المياه ونشاط الواحات، ما يفسر اختلاف الخرائط التاريخية بين الرحالة والمصادر المعاصرة ونخص بالذكر واحة مطريوة في الطريق إلى تونس. خلال العصر الحديث إذ لوحظ وجود الجبالية (شنني، الدويرات، بني بركة) في العاصمة في وقت مبكر وكانوا مع آخرين يقومون بحراسة مدينة تونس ليلا.

*** الإطار الطبيعي للمشهد الواحي**

تمتاز الصحراء الكبرى بظروف مناخية قاسية، حيث تعد ندرة المياه المعيار الأساسي لتوزيع المستوطنات. تتبع

[3] stephonie guedon Le voyage dans l’afrique romain p161، bordeaux 2010

[٤] بول تروسيه تعريب الهادي بودربالله – المقدمة ٢٠٢٥ ص ٢٦

[٥] نفس المصدر، ص ١٦١

[٦] في نفس المكان عند سفح مطريوة هناك مبنى "تامدرست" يبدو انه للتلاميذ العزابة بني في القرن الحادي عشرة هجري يحتوي على ساحة فسيحة قد تكون مخصصة للتدريبات العسكرية. يعود الفضل في تطوير حلقة العزابة الى الشيخ ابي مكدول الزنزفي في امنسان حيث اتخذ غارا لتلاميذ الحلقة . انظر كتاب السير اخبار الايمة لابي زكريا يحي السدراتي

الواحات توزيع المياه الجوفية والينابيع الطبيعية، وتشكل نقاطًا حيوية لتوفير الماء للمسافرين والحيوانات.

١- الغاب والغابة: غابة مطريوة

هناك فرق بين الغاب بمعنى الفضاء المكسو شجرا تعيش منه الحيوانات السائبة و بين الغابة في المفهوم المحلى حيث يتم استصلاح الارض لتكون نطاقا زراعيا كغرس فيه الاشجار المثمره او تزرع فيه الجنوب خلال فصل كاف اما غابة مطويوه فانها تقع عند كاف سطح جبل الدويرات من جهة الشمالية في كتلة الجبالية المرتبطة بجبل شنني.

ان مصطلح غابة في المتواتر الشعبي لاهل الجبل في الجنوب التونسي يعني استصلاح الارض واستخدامها فلاحيا سواء بالغرس او الزرع. ومطريوة (الميضر) المجال الذي توجد فيه عيون الماء ومن هنا جاء مفهوم الجبالية الفلاحة و هذا التخصص الوظيفي رتب تصنيفا فئياويا يوحي بالثبات و الناي بالنفس عن الصراعات. وعليه فان مفهوم الفلاح يعني الثابت قدّام المتحول اليدوي وهذا التموضع كرس الانقسامية في المجتمع المتعايش الى حد فرض حاله عليه من الاقطاع عرف بعلاقات الصحبة التي جعلت من الثابت الفلاح (الجبالي) والبدوي المزالي يدفع ضريبة سنوية الى البدوي المتحرك الجدالي (مزاله= جداله). وكانت علاقات الصحبة عائلية او مجموعة باكملها انظر فوراست[٧]

ان العين الجارية الموجودة في سطح الجبل هي اصل التعمير و العين الجارية هي جزء من عيون سائله عند تضاريس الدويرات: و عامل الماء جعل من مالكي السفح _ بعنوان صبوب الماء يفكرون في انتشاء مدرجات (الشريكة جمع على شراريك _ او مراجع على شكل المصطبات او المدرجات في بلاد الشرقية) و قد تم عرس النخيل كل في ملكيته مما شكل واحة نخيل في سفح الجبل .

خلاف تلك التي تنم في البسائط (واحات قابس...) .و هذه الملكيات يمكن التفويت فيها بالبيع و الشراء او والهبه و يصل الماء الى كل مقسم وقف تنظيم معين[٨]

هناك اصل شجرتين من شجر الارقان[٩] (تشبه بالزيتون) تحرها حبوب تنتج زيتا , كان يهود سوف تطاوين يشترون : حب الارقان يتباركون به دهنا لاولاده الصغار .

ومن مطريوة يمر طريق العابرون الى الشمال الى غاية تونس بعدما يتم الوداع عند مصلى.الدويرات على قمة الجبل المقابل لمطريوه الواقع خلف الواحة غربا .

[٧] بوليفة منصور، عوائد تطاوين تعريب الهادي بودرباله، دار الشنفره ط/اولى ٢٠٢٣

[٨] قد تكون مطريوة من انشاء العزابة الاباضيين _ الذين عرف عنهم الاغناء بغرس النخيل في المناطق التي تخضعت لهم من الجانب العقدي انظر محمد سعد النسباني تامزغا _ تاريخ الاباضية / ص ٥٦

[٩] هناك اصول من هذا الشجر من توجان و الدعوة قائمة للاعتناء بهذه الشجرة تسمى في البربريه "اجين" و هناك.. في ليبيا واد = سوف الجين وفي المغرب يعتبر زيت الارقان سلعة = يباع في الاسواق كمادة تجميلية (للتطرنمة)

هناك فرق بين الغاب بمعنى الفضاء المكسو شجرا تعيش منه الحيوانات السائية و بين الغابة في المهموم المجلى حيث يتم استصلاح الارض لتكون نطاقا زراعيا كغرس فيه الاشجار المثمره او تزرع فيه الجنوب خلال فصل كاف اما غابة مطريوه فانها تقع عند كاف سطح جبل الدويرات من جهة الشمالية في الكتلة الجبالية المرتبطة بجبل شنني.

و من خصائصها انها تحتوي على عين جبلية دائمة الجريان . فقد عمد اهل الارض الدويرات على استصلاح هذا السفح و تقسيمه الى مقاسم صغيرة الحجم مرجع مراجع شريكة تحد لكل عائلة نصيب عائلة عازق مثلا.

و قد تركت الان و لم يتعهدها اهلها كما لم تهتم بها جمعية الدويرات التي قدمت الكثير من الخدمات في نطاق الحفاظ على التراث الدويري و هي مازالت قائمة تصارع الاهمال رغم وجود الماء المتسرب من الجبل .

وواحة مطريوة هي التعبير المادي لهذا الفعل في تفاعل الانسان مع الطبيعة مغالبة الى حد الابداع و الصورة هي ارادة اعمار الارض بتطويع الثابت الى متحول منتج . و ذلك بغراسة النخيل في سفح شديد الانحدار بخلق مدرجات مسطبية و استعلال هذا المجال مستفيدين من نبع الماء الجاري شننا .اذ تحتوي هذه الكتل الجبلية على عيون ماء نتيجة خاصية جيولوجية تمثلت في نافذية المصطبة الصحراوية ذات المخزون المائي الهام و التي تطفو على السطح في شكل عيون رشاحة . كما هو الحال في دخيلة مطريوة و كاف شارنو عيون زارت و شنني . هنا تتهيا الجغرافيا لاستضافة التاريخ تماهيا مع قول (ماكندر) "يبدا التاريخ عادة بالنسبة لاي شعب عندما تبدا الجغرافيا " و يقول (اليمني) "لا رزق ياتي لجالس الا لاهل المغارس و من قرأ في المدارس [١٠]"

*** مثال مقارنة**

تنتج قدرة الانسان الايجابي في القدرة و التحكم في استغلال المناخ {العين الجبلية: مطريوة " البئر "السانية عبيا}

و الفرق بين واحة مطريوة الجبيلة و سانية عبيا و هي ان الاولى تمثل التحدي ضمن الفضاء الجبلي حول ينبوع خارج الادارة بينما تمثل عبيا استصلاحا للارض على حافة واد زنداق مع الاتفاق على توزيع ايام السقايه باتفاق ودي يرقى الى درجة القانون[١١]

[١٠] محمد علي ثامر الثقافة الشعبية .عدد٣٢ السنة التاسعة شتاء ٢٠١٦ ص٦٦

[١١] انظر ورقة مخطوط تخص توزيع المياه حسب ملاك الارض المحيطه بالسانيا .

المكايسة في التجارة مصطلح خلدوني ورد في المقدمه و الكياسه لغة :الكيس مصدرالعقل و الظرف و الفطنة كايس مكايسة غلبه في البيع و العامة تقول " كويس "

سانية عبيه: هيكل السانية

وأهل مطريوة هم الدويرات وهم بدورهم كما تتحدث عنهم شجرة عائلية عند عائلة بوخريص وتتحدث عن هؤلاء على أنهم نسل المرابط المغربي القادم من الساقية الحمراء ثمة من يذكر " تافللالت" خلال عهد الادارسة قبل اكثر من خمسمائة سنة و ان الجد المؤسس يسمى غازي بن ذويب بن كننه دون ذكر لغة خطابه التي يرجح انها الامازيغية التي هي لغة الاحفاد الان جاء و استقرمتحالفا مع الامازيغ في شنني بالتصاهر ثم اشترى قطعة ارض من بن معقل توسع فيها بالحيلة على قراءة بني كياسة عليسة في قرطاج . و هذا الرجل الاسطوري ترك سبعة ابناء ضاق بهم المجال فتفرقوا عند الجبال المجاورة متخذين جهة الكويستا موقعا لحيشانهم و غيرانهم الحفرية سكنا[١٢] .

و قد تكون هذه الاسطورة من باب تعليل الغامض امام عجز ادراك الحقيقة تطابقا مع تفسير بارك القائل " يجب على الشعب ان يفكك شفرة الرموز حتى يصل الى معرفة اجتماعية حيوية متخفية "[١٣]

نعود الى نسق التاريخ ضمن الحيز الجغرافي الموضوع في الخطة عني وادي زنداك وهو كتلة تاريخية اغفلها المؤرخون. فهذا الممر شاهد على كل العصور و بالتالي قد يكون سلكه النسامونيون" ليحطوا رحالهم في الحوض الادني لهذا الوادي و ينتشروا في الناطق المجاورة (شواهد قبورهم الدائرية في بليدة المقدمين و ربما ايضا في بليدة مولى الدار ببني بركة)[١٤].

وربما كان هذا الطفح المائي السطحي هو الذي اعطى للجهة اهميتها منذ فجر التاريخ و اتخذها ممرا حيويا للاتصال بين الشمال و الجنوب ثم الى داخل الافريقي رغم مخاطر هذا الطريق المطرز بالزواحف و الحيوانات المفترسة[١٥] .

*** التقنية الهيدرولوجية التقليدية: استغلال المتاح من الماء**

*** واحة مطريوة (وتلاميذ العزابة)**

تقع غابة مطريوة عند كاف جبل زنزفة (الدويرات) و بحكم وجود الماء تم التعمير بالسكن ثم انشاء هذه الواحة ذاتها و هذا يرجح ان العزابة الاباضية كانوا وراء هذا الانجازأي غراسة النخيل بعدما تحصنوا بالمكان الموحى بالامان . وينتسب الى المنطقة الداعية الاباضي ابو ربيع سليمان بين زركون من قرية تابديوت تيرشاون (خنقة

[12]Andre. Louis ; étranger cite berbére du sud tunisien douiret . p 16,std 1975

[١٣] فريدريك بارث . اندره غينغريتش . روبارت بارك. سيدل سيلفرمان، الانتروبولوجيا.الترجمة ابوبكر احمد باقادر . ايمان الوكيلي ص ٣٢١ المركز العربي للابحاث و الدراسات ط اولي/٢٠١٧

[١٤] منصور بوليفة، فرسخ الحضارة، دار شنفرة للنشر، ٢٠٢٤، ص ٢٢

[15] Guédon stéphanie ; le voyage dans l'afrique romaine : p,161- diffusion de boccard-bordeaux 2010

كما تتحدث الكتابات عن دور وادي تيطاون كمحور للفتوحات الكبرى العسكرية و المدنية عبر الزمن، نظر محمد سعد الشيباني، إباضية تامزغا، ص٤٤٩ .

الطرشان حاليا) . احد علماء عصره أنشأ الاباضية في الجبل[١٦]و يقال انه تعلم مع ابي يزيد مخلد بن كيداد بسجلماسة[١٧].

كانت واحة مطريوة في بلاد زنزفة(الدويرات) مثلا رائعا لتحدي الانسان للطبيعة اذ غرس النخل في سفح الجبل مستفيدا من الماء المتوفر كما نحت في جبهة الكويستا مسكنا غاريا يستجيب لشروط العيش في المناطق الجافة و من نمط العيش هذه حدث التعايش مع ثقافة الندرة في بيئة تنتج التمور الذي كان يمثل جزءا من الغذاء اليومي و قديما قيل " ان التمر مسامير الركب او الركبان كناية عن منح الطاقة للمقيم او المسافر" . و عموما فان النظام الغذائي عند الجبالية يستمد في الاساس من انتاج (الغابة) هنا الاراضي المستصلحة لإنتاج القمح و الشعير و الزيت و التمر و التين و المجفف(الغربوز) . من ذالك ان جبالية قفصه (و هم من جهة تطاوين في الاصل) ينظمون غذاءهم حسب الفصول[١٨] ففي فصل الربيع مثلا يكون فطور الصباح التمر مع اللبن و عند الغذاء يكون من التمر و الزبدة و الكسرة (خبز) تسمى (الرفيسة) و في فصل الخريف يكون فطور الصباح من التمر و التين المجفف و هكذا[١٩] ... قد يكون هذا تطبيقا لذلك القول المأثور " ان الانسان الذي ياكل التمر يوميا لا يمسه الجن " مع تاكيد المقولة السردية بما يوفره العلم الحديث من تصور تقريبي للمشهد عن طريق الذكاء الاصطناعي.

المسرب المائي وتقنية توزيع المياه: سانية عبية بني بركه نموذجا وادي زندا كتطاوين، تونس

عبيه بمعنى التي لا ينقطع ماؤها ابدا[٢٠]

وقف شاهده على عين المائية المعروفة عبيا المسماة عبيا مع زوج فلاحة و هما المكرم احمد بن موسى القطرني و المكرم عمر بن سالم المقدم المتنازع عليها ابناء الحاج سعيد من قبيلة بني بركة و المقاترة من القبيل كل منهم يريد قسمة ماء السانية المذكوره بقدر منابه من الارض السانية المذكورة ... اتفق الجميع و تراضوا بعد معرفة

[١٦] في نفس المكان عند سفح مطريوة هناك مبنى "تامدرست" يبدو انه للتلاميذ العزابة بني في القرن الحادي عشرة هجري يحتوي على ساحة فسيحة قد تكون مخصصة للتدريبات العسكرية. يعود الفضل في تطوير حلقة العزابة الى الشيخ ابي مكدول الزنزفي في امنسان حيث اتخذ غارا لتلاميذ الحلقة . انظر كتاب السير اخبار الايمة لابي زكريا يحي السدراتي الورجلاني تحقيق عبد الرحمان ايوب تونس١٩٨٥

[١٧] الشيباني محمد سعد تاريخ اباضية تمازغا مقدمة في تاريخ الاباضية في بلاد المغرب.ص ٤١٥-٤١٦ ط/ الولى ٢٠١٣

[١٨] بوليفة منصور ، فصوص النصوص، نشر دار سحر ٢٠١٧، ص ٨٨

[١٩] يقول المثل المورتاني " اللي في الدخل (بمعنى سكان الجزر) لا يعرفون قيمة النخل.(بمعنى من يستهلك السمك يجهل قيمة النخيل _التمر)

[٢٠] محفوظ في ارشيف منصور بوليفة ١٢٢٤ ه / ١٨٠٩ م

مقسمة على واحد و عشرين يوما ٢١

١٢ يوما للمقاقره

١٠٩ ايام لابناء الحاج سعيد

٠٢ لعمر بن عبد الله

٠٢ منصور بوليفة

٠١ لدكان هم السانية / المعروف بدكان القرمد

و بذلك تراضوا على هذا التوزيع النظري و المشكله في التطبيق فماهو أثر التبادل التجاري في الحياة الإنسانية؟ وكيف حصل ذلك ضمن المسار التاريخي؟

*** الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للواحات**

١- تموين القوافل وتقديم الخدمات بتوفير الماء، التمور، العلف، ووسائل النقل.

٢- مراكز تبادل تجاري: بيع الملح، الذهب أو التبر، الرقيق الأسود، المخطوطات، والسلع المحلية في غدامس تحديدا.

*** الاقتصاد الواحي**

١- التبادل التجاري

تاريخية التبادل التجاري (التاجر والمتاجرة) في التاريخ.

تغيرت المسارات عبر العصور بفعل اختلاف الحاجة مثل تحولات القوى الإقليمية وما يعقد ذلك من تحولات في البنية الاقتصادية وظهور أو انهيار موانئ ساحلية. لذلك نجد اختلافًا في الخرائط التاريخية بين العصور.

"والتجار اهل الصلاح "هكذا يصفهم احمد بن علي المقريزي " القرن ١٤" تلميذ ابن خلدون النبيه حيث اهتم

بالحياة الاقتصادية في مصر (البلاد المتناهية في كثرة العماره) على رأي ابن بطوطه.

وتفهم اهمية التجارة في حياة الناس في خلق طبقة من ذوي اليسار. طبقة مستقلة بذاتها لها ما يميزها في البنية الفوقية[٢١]

(فلسفة، قانون، اخلاق ...) فالتجار هم ذوي الرفاهة وفق دونهم نجد الفيئات الاجتماعيه الاخرى وصولا الى ذوي الحاجة و المسألة[٢٢] .

٢- الأسواق التجارية

تعتبر التجارة مع الدويرات ونفزاوة من أهم الأسواق المتاجرة مع غدامس[٢٣].

وإن التواصل بين الأسواق التجارية يحتاج إلى خطط معدّة سلفا تتمثل في الإعداد اللوجستي الحامل والمحمول ـــ إضافة إلى محطات التوقف المسماة زقزاو. ومن العادات التقشف في التغذية، وشرب الماء وربما كانت معضلة الماء هي الأشد، كان "الرقيق يشرب مرة واحدة في اليوم"[٢٤]. وكما يقول ابن خلدون: -

"اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجيات الناس منها الضروري الاقوات كالحنطة والشعير وما معناها ومنها الحاجي و الكمالي مثل الفواكه و الماعون".[٢٥]

سوق القيروان، مدينة تونسية تأسست في القرن السابع الميلادي، تُعد من أقدم المدن الإسلامية في شمال إفريقيا، وأصبحت مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا [٢٦]. والقيروان باعتبارها عاصمة افريقية اكتسبت مكانتها من موقعها الديني والسياسي فغدت قاعدة تجارية هامة بين المشرق والمغرب إضافة إلى اشعاعها الثقافي اذ اختارها الفاتحون الأوائل عاصمة سياسية لشمال افريقيا. وبالتأكيد فإن الصبغة السياسية أعطتها بعدا إقتصاديا خاصا.

الطرق والقوافل:الطرق الرئيسية

١- طريق غدامس قاو، الذي كان يمر عبر مناطق صحراوية صعبة، ولكنه كان آمنًا نسبيًا بفضل التنظيم القبلي المحلي.

عن طريق تطاوين عبر جبل دمر(واد زنداك) للوصول إلى شمال تونس (سوق البركة)

لهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان ازفة الناس واكثرهم اموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المغازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدي اليها ادلاء الركتان[٢٧] .

*** مدينة غدامس**

العلاقة التجارية غدامس واسواق البلاد التونسية

اهم البضائع المتبادلة بين الدويرات وغدامس في حدود ١٨٩٠

---

21 L'infrastructure de Karl Marx.

٢٢ عالم الفكر، المجلد ١٤ العدد٢_١٩٨٣، الكويت افواد على كتابات المقريزي سعيد عاشور ص٢٠٠

23 André Martel, les confins, Saharo- Tripolauos de la Tunisise 1881/19911 - Tome 1 Pfe 1965, P 506-507

٢٤ لويس فرنك، سوق البركة ويهود تونس، تعريب منصور بوليفة، دار سحر للنشر، ص٧٢ ٢٠١٩

٢٥ ابن خلدون المقدمة ص ٦٤٦

26 André Martel, les confins,

٢٧ ابن خلدون المقدمة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠ ص ٧٠٧

١ــ من غدامس الى دويرات	٢ ــ من الدويرات الى غدامس
ــ النطرون	ــزيت
ــ جلود الغزال	ــزبدة (سمن عربي)
ــ جلود فيلالي	ــقمع
ــ احذية مطروزة	ــشعير
ــ احذية عادية	
ــبخور	

رصيد اجابي لفائدة الدويرات (٢٣٠.٥٠ فرنك) [٢٨]

١ــ من غدامس الى نفزاده	٢ ــ نفزادة (منطقة الجريد)
ــ فيلالي	ــ الحوالي
ــ سروج مهارة	ــ برانيس
ــ بخور	ــغرابر
ــ نطرون	ــ زيت
ــ جلود	ــ سمن عربي
ــ تبر	ــ ماعز (نعاج و خرفان)
ــ عطر المسك	
ــ الشب (حجر)	

رصيد ايجابي لفائدة نفزاوة (١٩١.١٧٥ فرنك)[٢٩]

١- طريق غدامس – مديغوري، لتجارة الإبل والماشية.

٢- طريق غدامس – كانو، لتجارة الأقمشة والسلع الفاخرة.

*** الأثر الحضاري**

١- الأثر الاقتصادي

أ- ساعدت شبكة تجار غدامس على استقرار الأسعار في الأسواق الموسمية والدائمة.

ب- نقل الثروات بين شمال إفريقيا والجنوب ساهم في تطوير اقتصاد متكامل للصحراء الكبرى.

ت- دعم التجارة بالسلع الأساسية والثانوية أسهم في تخفيف المجاعات وتقليل الأزمات الاقتصادية.

٢- السوق الغدامسي

إن غدامس باعتبارها مركزا من المراكز التجارية العظمى في المنطقة الصحراوية إذ كانت نقطة التقاء للقوافل القادمة من الجنوب مع الأسواق الشمالية وأسهم في بناء اقتصاد متنوع ومستدام عبر التبادل الطويل الأمد مثل السلع الأساسية القادمة من الجنوب: الذهب، الملح، الجلود، والعبيد، مقابل الزيتون، النسيج، والمخطوطات.

أ- الزيتون وزيت الزيتون: القيروان تشتهر بزراعة الزيتون منذ العصور الإسلامية المبكرة، وكان زيت الزيتون يُصدر إلى مناطق الصحراء وحصول التثاقف.

ب- النسيج: الأقمشة التقليدية كانت سلعة مهمة، ارتبطت باللباس المحلي والزي التجاري.

ت- المخطوطات والكتب الدينية: السوق كان مركزًا علميًا، حيث تباع المخطوطات الدينية والفكرية، مما ساعد في نقل المعرفة عبر الصحراء.

[٢٨] فتحي ليسير نجع ورغمة ص ٢٩٠ – مؤسسة التميمي

[29] André Martel, Les confins Saharo- Tripalauos de la Tunisise 1881/19911 - Tome 1, P 506-507, Pfe 1965

في عهد الرومان من تونس الى غدامس يشير سترابون[٣٠] الى تبادل تجاري سري بين قورينا[٣١] وقرطاج في النبيذ و السلفيوم[٣٢]

٣- الدور الاقتصادي

غدامس في الصحراء على بعد ٧ ايام من جبل نفوسة وهي مدينة لطيفة قديمة ازلية كانت سجونا للكاهنة التي كانت افريقية وتحكم موقعها لعبت دورا تجاريا هاما في التاريخ باعتبارها همزة وصل بين الجنوب (غات) والشمال (القيروان)

توفرت على جملة من السلع الاساسية والكمالية للمتصدر بضاعتها الاسواق القريبة والبعيدة فقد كانت محطة اساسية لتجميع الرقيق الاسود يقول احمد بن ابي الطياف في الاتحاق" الملك للنوع الانساني اعظم بلية و حالة المملوك جلية "

و في جانفي ١٨٤٦ صدر امر الباي في سائر مملكته بعتق المماليك السودان[٣٣]

ملاحظة صدر هذا القانون قبل فرنسا ١٨٤٨ والولايات المتحدة ١٨٦٥.

وبتوقف تجارة الرقيق فقدت غدامس جزءا من عوائدها التجارية و اصبح ميزانها التجاري خسرا مع الاسواق الشمالية٣٤ (انظر الجدول لاحقا)

سيتم توثيق هذا الدور الاقتصادي عن طريق مشاهد تاريخية محينة لإبراز البضاعة المتبادلة

ومن غدامس ياتي الرقيق الأسود: -

تعريف الرق هو تشيئة الانسان وتسليعه وهو ثقافة مكتسبة ناتجة عن اختلال موازين القوى المادية والمعناوية. وعند ابن منظور في لسان العرب الرق بالكسر الملك والعبودية واسترق المملوك فقد ادخله الرق و قد دعم فلاسفة اليونان (افلاطون و ارسطو) هذا النوبة على اساس الفرق بين اليوناني العاقل مقابل البربري المتوحش هنا فسرالتوجه على اساس البنية الضعيفة والقوية.

---

٣٠ سترابون ٨٥ -٢١-٢٥ قبل الميلاد جغرافي اغريقي = وصف العالم القديم في بداية الامبراطورية الرومانية
اثار العرب مجلة نصف سنويه معنى بالتراث العددان ٧+٨ ١٩٩٥
ليبيا و جذورها الحضارية و الثقافية بقلم صالح و نيس عبد . ص٣٣

٣١ قورينا: اسم اصلي امازيغي، سكنه القورينيون ويبدو انهم من الاغريق المهاجرين خلال القرن ٧ ق/م و الذين انشاوا هذا المركز الحضري و لم يطلقوا عليه اسم اغريقيا
مصطفى اعشى، احاديث هيرودوت المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ص٣٨

٣٢ السلفيوم : نوع من النخيل قد يصل طولها الى ٤٠ مترا غير موجود الان هناك ما يشبهه الان في جزر الشيشال شمال مدغشقر، تضرر هذا النوع من التجار نتيجة فعل التجار (تحويل المجال الى مراعي قطعا) بسبب الضرائب او بفعل عمليات الغزو وعنف الرحل
اعشى ص٣٩

٣٣ ابن ابي الضياف الاتحاق تحقيق المرزوقي ج ٤ ص ١٠٢ – الدار التونسية للنشر

٣٤ يوشع بشير قاسم ،غدامس ط٢ ٢٠٠١-ص ١٣

*** الرقيق في تونس القافلة الغدامسية**

سوق البركة ضمن مدينة تونس بناه يوسف داي بغرض عرض العبيد و بيعهم يقول د/ فرانك "عندما وصلت الى تونس كان عدد الزنوج كبيرا و يصل هؤلاء بمعدل قافلة واحدة في السنة انطلاقا من غدامس حيث يتم قطع حوالي الف كلم سيرا على الاقدام (اطفال ...نساء ....رجال شبان)[٣٥]

*** عملية الشراء**

ان من اراد شراء زنجيا او زنجية يقوم بفحص الدقيق بنفس مواصفات شراء حصان من الحث على الجري والانحناء والقفز والدحرجة مع جس اللحم وتحريك. المفاصل. الخ.

*** ومن غدامس ياتي العقيق (التبر أيضا)**

والعقيق هو الذهب الخالص (لم اعثر عن كتابة في هذا الموضوع) ولكن الكل يعرف ان افريقيا السوداء كانت مصدرا مهم لتحديد الذهب ذكر ذلك البكري من كتاب المسالك و الممالك عند الحديث عن سجل ماسة حيث يقول " ومن الغرائب عندهم ان الذهب جزاف عدد بلا وزن و الكراث يتبايعونه وزنا لاعددا" ومسحوق الذهب (التبر) الذي كان يحمل من غدامس تذكره الحكايات الشعبية من جهة تطاوين على انه كان متداولا ينقل في فخريات بشبه الرماد على قول الرواة .

[٣٥] بوليفة منصور، سوق البركة ويهود تونس، دار سحر للنشر، ٢٠١٩، ص١٦

*** وعن طريق غدامس ياتي الجراد الي تونس**

والاسم العلمي للجراد هو Schislocera gregaria [٣٦]و هو من الحشرات المهاجرة بنشط من المناطق الجافة خصوصا الصحراء الافريقية و هو افة من الافات قد يكون مصطلح أجرد من جراد لان هذه الدريبة لا تترك شيئا ثابتا على الارض .

ومن هنا كان يهدد حياة الانسان مم ادى الى رد فعل من صنف ذات الصنف حيث ابيح اكله ومن هنا ربما فكرة مقولة " اللي ما يكلش من ناقتي وجرادتي محروم من شفاعتي "

هنا نلاحظ شرعنة اكل الجراد في المجتمعات الصحراوية و يحكى ان النسامونين "اكلوه طحينا ممزوجا بالحليب" و من الجراد ما حل بقرطاج عام ١٢٦ قبل الميلاد (قضى على المزروعات و الاعشاب و الاشجار) و كان وراء وباء قاتل للحيوانات و الطيور .

المحطات التجارية: غدامس غات/ غدامس تونس

الأسماء الخاصة للطرق الرومانية في أفريقيا كانت تسمية الطرق الرومانية[٣٧] المستمدة من أصل تاريخي وجغرافي في أفريقيا الرومانية، يغلب الأصل الجغرافي، والأسماء الخاصة المعروفة للطرق الرومانية الأفريقية

ذكر بين الاكبر[٣٨] قبائل الجرامنت التي تكون عند منطقة ذهيبة احد المحطات الواقعة في الطريق الى قبيله القرانين المستقرة في غدامس سيداموس و تيلياري رماده في تلالت[٣٩]

[٣٦] الاعشى مصطفى احاديث هيرودوت _ المعهد الملكي للثقافة الامازيغية المغرب، ص ٤٤

[37] Le voyage dans l'afrique romaine par stephanie guedon, bordeaux 2010

[38] Ibid, historien romain, ٥ème siècle avant JC

[٣٩] بول تروسيه تعريب الهادي بودربالله – المقدمة ٢٠٢٥ ص ٢٦

*** الدور الثقافي**

١- الأسواق الدائمة ساعدت على انتقال العادات، اللغة، والدين بين القبائل المختلفة.

٢- كانت السوق مكانًا لتبادل الفنون الشعبية والموسيقى والمأكولات التقليدية، وهو ما يعكس البعد الثقافي للأسواق.

*** الدور الاجتماعي والثقافي**

١- شكلت الأسواق ملتقى للقبائل المختلفة، حيث تم تبادل الأخبار، القصص الشعبية، والموسيقى التقليدية.

٢-كانت الأماكن التي تُقام فيها الأسواق تُستخدم لإقامة طقوس اجتماعية مشتركة، مثل الاحتفالات الدينية، مسابقات المهارات التقليدية، أو المهرجانات الموسمية.

٣- ساهمت هذه الأسواق في انتشار اللغة واللهجات المشتركة بين القبائل المختلفة، وظهور لغة تجارية بسيطة تُستخدم لتسهيل التواصل بين الشعوب.

*** أثر الأسواق في العمارة والثقافة**

*** أثر التجارة على العمارة والمجتمع المحلي**

*** العمارة**

١- استخدام المواد القادمة من غدامس مثل الطين المحروق والخشب ساهم في بناء القلاع الطينية في غاو وغاو-تمبكتو.

٢- ساهم التجار في نقل تقنيات البناء وأساليب العمارة المحلية إلى المدن التي تصل إليها بضائعهم.

*** هندسة المعمار في النطاق الصحراوي**

ان اكراهات الجغرافيا تحديدا المناخ يملي شروط على ساكنه هذا المكان " فالطبيعة تفرض و الانسان ينفذ "[٤٠] و شروط التنفيذ تكون من المناخ الطبيعي: (عمارة القصور الجبلية في تطاوين) و المتاح هو الحجر والحطب و اخشاب (الغابه = النخيل و الزيتون) . و لتوضيح الصورة مدينة غدامس نموذجا يقول : بشير قاسم يوشع :"دوان مواد البناء الطبيعية على اختلاف انواعها متوفرة في غدامس ففيها الاحجار الرملية الصالحه للبناء و الاحجار السوداء و البيضاء

[٤٠] انظر: رويات قافلات االنتقام الجغرافيا _ قرحية انها _ عبد الرحيم على _ عالم المعرفة ٤٢٠_ ٢٠١٦ – ص ٤٩

و فيها الجرية الخفيفه التي تصلح السقوف و الاقواس و الجبس و الجير لتبيض الجدران و فيها الطين" [٤١]

تتميز القرى المسكونه في النطاق الصحراوي بتنظيم خاص من حيث التكييف الطبيعي ــ الانهج الطبقه والتعرفه المغطيه الى بعضها البعض من تغطيه المسارات {المدينة العتيقه بتونس وغدامس} ولكي يحصل التعايش عادة ما ينظم القانون العرقي السير العادي للحياة السويه [٤٢]

١- جنوب الصحراء (تمبكتو، غاو): عمارة طينية مستوحاة من تبادل مواد البناء وتقنيات العمارة المحلية.

٢- تبادل مواد البناء أثر على قصور الطين والبنى التقليدية.

*** العمارة الطينية والتجارة**

هندسة المعمار في المناطق الصحراوية بين غدامس وتونس، نموذج الغرفتان في غدامس و في تونس العمارة في مناطق غرب إفريقيا والصحراء الكبرى تأثرت بشكل كبير بالأسواق والقوافل التجارية. وهذه المدن مثل غاو وتمبكتو وقلعة غدامس التي اعتمدت على مواد البناء التي يوفرها التجار: الطين المحروق، الأخشاب، الحجر الجيري، وحتى بعض المعادن فهناك تكامل في العمارة بين القصور.

*** العمارة المحلية والأنماط العمرانية**

١- **غدامس:** تقسيم عمودي، أزقة مظللة، أسطح مفتوحة.

سنقوم عبر مشاهد محينة بوصف مدينة غدامس باعتبارها نموذجا متفردا بذاته استجابة لإكراهات الطبيعة.

*** أثر الأسواق على العمارة**

المواد والسلع التي نقلها التجار عبر القوافل، مثل الطين المحروق والخشب، ساهمت في ابتكار العمارة التقليدية "vernaculaire" للمدن الصحراوية مثل غاو وغاو- تمبكتو.

*** القصور والرباطات**

١- تصميم المدن حول الأسواق، بما في ذلك الساحات والممرات، يعكس تكيفاً بيئياً ومخططاً حضرياً متقدماً.

القلاع الطينية في غاو: -

١- بنيت أساسًا من الطين المحروق، مع استخدام الأخشاب كدعائم للأسقف.

[٤١] يوشع بشير قاسم ، غدامس، ص ١٠

[٤٢] انظر كتاب العماره للشيخ محمد اصفيش = خطوط = ورقه ٣٠ – باب السكن و تحته

٢- هذه القلاع لم تكن مجرد دفاعات عسكرية، بل كانت مراكز تجارية وإدارية، حيث كان التجار يقومون بتخزين السلع وممارسة التجارة الداخلية والخارجية.

٣- استخدام المواد القادمة من غدامس يوضح التبادل المباشر للمواد والمعرفة التقنية بين المناطق.

المساكن التقليدية: -

١- الطين والخشب تم استخدامهما لبناء منازل سكان المدن الصحراوية.

٢- الانتظام في تصميم البيوت، مثل الفناء الداخلي والأسطح المسطحة، يعكس التكيف مع البيئة الصحراوية والمناخ الحار.

ومن نماذج العمران: -

*** واد زنداك**

ها هو "فN" تاطاوين: واد عميق محفور على شكل قمع في هضبة، يصب في سهل شاسع، وعلى اليمين كتلة تلالت[٤٣].

العلاقات التجارية مع تونس عبر واد زنداك كما ذكر الحشايشي "وكنت ذكرت أن الغدامسية لا يعرفون مدنا أخرى غير تونس وقد ربطوا علائقهم بتونس عبر تطاوين"[٤٤]

ومن هناك يمر الطريق الراتب قابس- جكتيس- إلى شروس وجادو في جبل نفوسة ومنها إلى غدامس، وعلى هذا الطريق ظهر عمران مبكر يعود إلى القرن الثالث ميلادي لم إزدهر أكثر في القرنين الثاني والثالث هجري[٤٥].

هذا الوادي (زنداك- زنداج- زنداق) يقول محمد سعد الشيباني بمعنى الغابة الملتفة الاجمة حيث غرست المغروسات على طول هذا الوادي و لكي نفهم اهمية الغطاء النباتي علينا ان ننظر الى كم الابواب المستعملة في حيشان السكن و في الغرف المخصصة للخزن في القصور و في جميعها من الواح النخيل. وهذه الشجرة المباركة قديمة في هذه الجهات ذكرها "هيرودوتس" عند حديثه عن " النسامونس" بقوله" و هم في الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر و يذهبون الى منطقة الداخل تدعى (اوجلة) ليجمعوا التمر من اشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة عظيمة "[٤٦].

والبعض يعزو انتشارها في المنطقة بالكثافة التي كانت عليها الى نشاط العزابة الذين كان لهم وجود ثابت في المنطقة خاصة في تمولست حيث تجد "التمدرست" و قد سبقى

43 Leon Pervinquière, La tripolitaine interdite Ghadams, Paris, Librairie Hachette, 1912

٤٤ محمد بن عثمان الحشايشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، حققه محمد المرزوقي،نشر الدار التونسية للكتاب، ١٩٨٨

٤٥ الشيباني، ص٤٤٩

٤٦ أحاديث هيرودوتس، عن الليبيين ترجمة مصطفى اعشي، ص٤٣

الى تفصيل تركيبة السكان في هذا الوادي سعد الشيباني في كتابه تمازغا[٤٧].

*** تأثير الأسواق على الثقافة المحلية**

اللغة: –

١– الأسواق كانت منصات لنقل الكلمات والمصطلحات التجارية بين القبائل المختلفة أو من الشعوب مثل ليّخ من العبرية بمعنى عاد إلى البيت .

٢– ساعدت في انتشار العربية كلغة للتجارة، إضافة إلى اللهجات المحلية المستخدمة في القبائل.

اللباس والعادات: –

١– تبادل الأقمشة والملابس بين الشمال والجنوب أدى إلى ظهور أنماط هجينة من الملابس، تجمع بين التصميم التقليدي المحلي والتأثيرات القادمة من المدن الساحلية. كانت الشاشية التونسية رائجة في القارة الإفريقية وإلى الآن.

٢– الأسواق الموسمية، حيث يجتمع الناس من مناطق متعددة، كانت مناسبة لتبادل الخبرات الاجتماعية والطقوس الاحتفالية، مثل الاحتفالات الموسمية والمهرجانات الدينية. دور الأسواق في نشر الدين وإقامة الفروض مثل سوق قصر بني بركة الموصوف بأنه عش الإسلام[٤٨]. يحتوي على جامع داخل القصر مما ميزه عن غيره من القصور المجاورة.

الفنون والحرف اليدوية: –

١– التجارة دفعت إلى انتشار الحرف اليدوية والفنون الشعبية مثل النسيج والزخرفة الخشبية ومعالجة الجلود دباغة وصناعة.

٢– الأسواق كانت مصدرًا لنقل المهارات الفنية من منطقة إلى أخرى، مما ساعد على تطور أساليب جديدة في الحرف التقليدية.

*** دور الأسواق في الثقافة وتثاقف المجتمعات**

الأسواق لعبت دورًا حضاريًا واجتماعيًا، حيث ساعدت في انتقال اللغة واللهجات والعادات والتقاليد بين القبائل المختلفة.

ساهمت في نقل الفنون والحرف اليدوية، ما ساعد على تطوير الأنماط المعمارية والأساليب الحرفية المحلية.

الأسواق الموسمية خاصة، كانت منصات لتعليم مهارات التجارة والمفاوضة للشباب، ما حافظ على استمرارية المعرفة والخبرة عبر الأجيال.

١– كانت الأسواق مكانًا للقاء القبائل والمدن المختلفة، وبالتالي تعزيز الشبكات الاجتماعية.

٢– تبادل السلع لم يكن فقط اقتصاديًا، بل كان أيضًا اجتماعيًا وثقافيًا، إذ كان التجار والرحل يتبادلون الأخبار، القصص، والموسيقى التقليدية. وقد ساهم تبادل السلع في

[٤٧] يتعرض عثمان الحشايشي إلى النقد دوريا بدءا من محمد المرزوقي، وذلك لتماهيه مع أفكار الفرنسي المركييز دي موراس رغم إعلانه صراحة بأنه شريك في الشركة التي أرادها االمركيز، الذي قتل في الوطية قرب غدامس.

[٤٨] منصور بوليفة، حكمة الجبال السبعة، مخطوط في تحليل رسالة بعثها محمد الصادق باي سنة ١٨٧٠، الأرشيف الوطني

تطوير الفكر التجاري وصولا إلى النقد "الروبل ليس معدنا أصفر وإنما توقيع الأمير.

٣- الأسواق الموسمية كانت فرصة لتعليم الشباب مهارات التجارة والمفاوضة، مما ساعد على استمرار هذه التقاليد عبر الأجيال.

*** التحليل المكاني للمدن الصحراوية**

وقد ساهمت الأسواق في تشكيل المخطط الحضري للمدن الصحراوية وصولا إلى ثقافة الكنيف من باب الصرف الصحي.

١- المدن مثل غاو وغدامس استخدمت الأسواق كنواة للتوسع العمراني، حيث تطورت الشوارع والأحياء المحيطة وفقًا لمسارات حركة التجار والقوافل.

٢- الفضاءات المفتوحة حول الأسواق، مثل الساحات والممرات، كانت تستخدم لتجمع الناس وتسهيل حركة البضائع، وهو ما انعكس على تصميم المدن حتى اليوم.

*** العلاقة بين التجارة والهوية الثقافية**

١- الأسواق لم تكن مجرد أدوات اقتصادية، بل رافد للهوية الثقافية للمنطقة.

٢- من خلال التبادل المستمر للسلع والمعارف، تشكلت شبكات مشتركة من العادات والتقاليد، مثل الطعام، اللباس، الموسيقى، وأساليب البيع والشراء.

٣- الأسواق ساعدت على ترسيخ القيم الاجتماعية مثل الأمانة، المفاوضة والمكايسة[٤٩]، والتعاون بين القبائل والمدن المختلفة.

*** حاضر حكم الساعة**

*** العولمة**

*** الآفاق المعاصرة**

الأسواق التاريخية يمكن أن تُلهم تصميم المناطق التجارية الحرة الحديثة، وتعزز المشاريع التنموية المستدامة.

يمكن استخدام التجربة التاريخية في ربط التراث الاقتصادي بالمشاريع الحديثة، لتطوير السياحة الاقتصادية، الصناعات الحرفية، وتوزيع المنتجات الزراعية.

الأسواق تظل رمزاً للهوية الثقافية والاقتصادية، تعكس التفاعل بين التجارة والحضارة عبر العصور.

تعتبر الأسواق التاريخية عبر الصحراء الكبرى كمصدر إلهام، من القيروان إلى غدامس، تقدم نموذجًا متكاملاً لتصميم المناطق التجارية المعاصرة.

١- تصميم الأسواق القديمة، مع الممرات المفتوحة والساحات المركزية، يوفر نموذجًا لتحفيز الحركة التجارية وتسهيل التواصل بين التجار والعملاء.

٢- تقليد السوق الموسمي، الذي يجمع التجار من مناطق مختلفة، يمكن استخدامه لإنشاء مناطق تجارية حرة مؤقتة أو موسمية، تشجع على التبادل الاقتصادي بين المدن الحديثة.

على أسلوب المعماري المصري حسن فتحي[٥٠]

أمثلة معاصرة: -

[١] ابن خلدون، المقدمة، تونس، الطبعة الحديثة، ٢٠٠١.

[٥٠] بناء القرى بالطين، ص٦٠

١- إنشاء أسواق أسبوعية أو موسمية في المدن الحديثة، مستوحاة من الأسواق التقليدية، لتعزيز النشاط التجاري المحلي وتشجيع السياحة الاقتصادية.

٢- تطوير مشاريع سياحية تعتمد على إعادة تمثيل الأسواق التقليدية، مع توفير منتجات حرفية محلية تعرض الثقافة والتقاليد القديمة.

مثال في تونس تبنى البناءات المعاصرة على نمط القصور صحراوية القديمة على سبيل الذكر نخص مترل الدكتور بالهادي في تطاوين.

استعمال خشب النخل في الأسقف والعارضة بخشب الزيتون بينهما طبقة سميكة للوقاية من الحرائق.

*** الربط بين التراث الاقتصادي والمشاريع التنموية**

١- يمكن استخدام الخبرة التاريخية للأسواق في تخطيط المدن الحديثة، خاصة في مناطق الصحراء والمناطق الريفية.

٢- التراث الاقتصادي يتيح فرصة لتصميم مراكز تجارية مستدامة تجمع بين التجارة التقليدية والتجارة الحديثة.

٣- الأسواق التاريخية تعكس شبكات النقل، توزيع السلع، وأساليب الإدارة الاقتصادية، ويمكن تطبيقها لتطوير مشاريع اقتصادية متكاملة اليوم.

أمثلة عملية: -

١- تصميم مناطق تجارية حرة بالقرب من نقاط نقل رئيسية، مستوحاة من مواقع القوافل التاريخية.

٢- استخدام المساحات المفتوحة والتقسيم المكاني للساحات والممرات كما في الأسواق التقليدية لتسهيل الحركة التجارية.

٣- تشجيع التبادل الثقافي في الأسواق الحديثة من خلال عروض المنتجات المحلية، الفنون، والحرف اليدوية، مما يعيد الروح الاجتماعية للأسواق التاريخية.

*** الأسواق كمحركات للتنمية الاقتصادية المستدامة**

١- الأسواق التاريخية أظهرت كيف يمكن للتجارة البسيطة أن تولد ثروة محلية مستدامة.

٢- تطبيق الدروس المستفادة اليوم يمكن أن يسهم في: -

١- تحفيز الصناعات الحرفية الصغيرة وربطها بالسياحة.

٢- تعزيز الأمن الغذائي من خلال توزيع المنتجات الزراعية بين المناطق المختلفة.

٣- إنشاء شبكة اقتصادية متكاملة بين المدن والقرى الحديثة، على غرار الشبكات التجارية القديمة.

* **الأسواق والهوية الثقافية في العصر الحديث**

١- الأسواق التاريخية ليست فقط أدوات اقتصادية، بل رموز للهوية الثقافية.

يمكن دمج هذه الهوية في المشاريع الحديثة لتعزيز التراث الثقافي والاقتصادي: -

١- تصميم الأسواق بحيث تعكس العمارة التقليدية.

٢- تنظيم أنشطة ثقافية، مثل عروض موسيقية أو مسابقات حرفية، مستوحاة من المهرجانات التقليدية.

٣- ربط المنتجات المعروضة بتاريخها وطرق إنتاجها التقليدية، لتعزيز التواصل بين الماضي والحاضر.

* **عالم التذاكي**

* **التحديات والوقوف على الأطلال**

* **تدهور التراث بسبب الحروب والهجرة.**

١- تهديدات بيئية وهيدرولوجية نتيجة حفر آبار حديثة، استعمال التقنية الزراعية الحديثة مما ساعد على التصحر، حيث تذكر مصادر التاريخ الوسيط أن منطقة وادي زنداك كانت عبارة عن احمة أو غابة كثيفة النباتات الطبيعية والمغروسة.

٢- فرص التنمية عبر سياحة ثقافية وإعادة تأهيل أنظمة الري التقليدية.

٣- كما يصلح واد زنداك ان يكون مركز جذب سياحي مثل السياحة الروحية كما هو الحال في الغريبة باعتبار أن هذا النطاق كان يمثل عمق المذهب الإباضي بتشكيلاته المختلفة.

التقدم الحضاري :" المنجز ما بعد الذكاء الطبيعي "

الانسان من جنس الحيوانات و ان الله تعالى ميزه عنها بالفكر الذي جعل له يوقع به افعاله على انتظام و هو العقل التمييزي او يقتص به العلم بالاراء و المصالح و الفاسد من ابناء جنسه و هو العقل التجريبي[٥١] .

يقول كارل ماكس : " ان التاريخ هو حركة ثورية متواصلة ". والتاريخ من فعل الانسان تواصلا مع النوع و يحكم ان الانسان كائن تاريخي فهو خالق افعاله تزامنا مع الزمن و يكفي عبقريته الفذه بانها تحفزه للطفره المبدعة يعنى القادح التاسيسي المرجعي للمابعدية . و صولا الى الاندهاش الناتج عن الذكاء الاصطناعي الذي قد يكون اداة هدم للواقع اليومي المعاش عن طريق التخيل الافتراضي الذي يمكن معه خلخلة الحقيقة بخلق مشهدية فاتنة قد تغري الناظره و يبقى فصل الخطاب هو ان العلم المطلق هو الانسان المطلق .

ومصداقية لاهذا القول تتجلى في واحة مطريوة الجبيلة وهي ابداع انساني ملموس من لدن مخلوق خلاق يتجاوز ثوابت الطبيعة باعتباره فاعلا و الهدف من تنشيط الفعل هو بلوغ الغاية النفعيه استجابة لحاجات الناس بدفاعا عن غريزة الاستمرار في الوجود

[٥١] ابن خلدون المقدمة ص ٨٤٧ ، دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠

*** الخاتمة**

من خلال هذا البحث، يتضح أن الأسواق عبر الصحراء الكبرى لم تكن مجرد أدوات اقتصادية، بل كانت جسوراً حضارية، تجمع بين التجارة، الثقافة، العمارة، والمجتمع.

١- استمرار دورها التاريخي يظهر اليوم في المشاريع التنموية، التصميم العمراني، والمبادرات الاقتصادية المستوحاة من التراث.

تؤكد هذه الدراسة على الدور المركزي للأسواق عبر الصحراء الكبرى، من سوق القيروان التاريخي إلى أسواق غدامس، باعتبارها مراكز ديناميكية للتبادل الاقتصادي والثقافي.

٢- الأسواق لم تكن مجرد فضاءات لبيع وشراء السلع، بل حاضنات للتجارة المتنوعة بين شمال إفريقيا وعمق الصحراء.

٣- ساهمت في استقرار الأسعار وتوزيع الموارد بين المناطق المختلفة، عبر شبكات القوافل والأسواق الموسمية والدائمة.

٤- التجار مثل تجار غدامس أسهموا في ربط المدن الكبرى والقرى النائية، ونقل السلع الأساسية مثل الغذاء والمواد الخام والمنتجات الفاخرة.

ومن اللطائف أن الواحات كانت محطات حيوية للقوافل، ومراكز حضرية وثقافية واقتصادية. هكذا نلاحظ ان كلمة واحة تعطي ايحاء اجابيا بمجرد النطق بالمصطلح بحكم ان النخلة مذكورة في القران كعنوان بركة و يسر ذكرت في سورة مريم " و هزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا[٥٢] ". و يروى عن النبي قوله " اكرموا عمتكم النخلة "، و من خصائص الواحة انها توفر الغذاء الضروري لبقاء الانسان و من هنا فان الانسان الواحيّ لا يعرف معنى الجوع و التمر مادة تجارية تخزن للايام الصعبة ومن هنا حادث التشاريع الوضعية تمنع الضرر بالنخيل (صدر بتونس قانون يدين الضرر بالنخله) و لكي تحصل التنمية المستدامة في المناطق القاحلة يجب الاعتناء بتنمية الواحات و الحفاظ عليها كمصدر من مصادر الغذاء.

والشيء الملفت الايجابي للواحات انها كانت قناطر خير بين الشعوب و ذلك عن طريق التواصل التجاري و لنا من ارتباط غدامس تجاريا مع تونس الى درجة ان الفتاة في تطاوين لا بدلها ان تلبس الصباط الغدامسي عند زواجها .

يقول الاب متمنيا: تكبر بنيتي ضلوه (اي لاحقا) و اشتري لها صباط ."

هكذا يكون من و حي الواحة الاحاء بالوجود الفاعل في الحياة. ومن وعي اهمية الطريق في التواصل بين الناس تاتي فاعلية البنية كمقدمة مركز لما يحدث عليها من تفاعل حضاري ترسمه مشيئة الانسان المتطلع لما هو افضل بتدخله المتواصل من اجل تحسين الحياة سواء عن طريق الذكاء الطبيعي الحاصل للمخلوق من الخالق او عن طريق متممات الذكاء الإصناعي حيث تتجلى قدرة الانسان على الاختراق و مشاهدة الوهم كما يتمثل اعادة تجسيم الماضي بتفاصيله المذهلة سواء في الانشاء المعماري او حيثيات الحياة اليومية او ماهو اسطوري فيها.

[٥٢] سورة مريم آية٢٥

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

ابن ابي الضياف الاتحاق تحقيق المرزوقي ج ٤ – الدار التونسية للنشر

ابن خلدون، المقدمة، تونس، الطبعة الحديثة، ٢٠٠١.

اثار العرب مجلة نصف سنويه معنى بالتراث العددان ٧+٨ ١٩٩٥ ليبيا و جذورها الحضارية و الثقافية بقلم صالح و نيس عبد .

الحشايشي محمد بن عثمان، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، حققه محمد المرزوقي، نشر الدار التونسية للكتاب، ١٩٨٨. دراسات إثنوغرافية حديثة حول الأسواق الموسمية في مالي وليبيا، Journals of African Studies، ٢٠١٠–2020

الشيباني محمد سعد: تاريخ اباضية تمازغا، مقدمة في تاريخ الاباضية في بلاد المغرب. ط/ الولى ٢٠١٣

رويات قافلات االنتقام الجغرافيا، عبد الرحيم على، عالم المعرفة ٢٠١٦

كتاب العماره للشيخ محمد اصفيش، خطوط ،ورقه ٣٠ ،باب السكن و تحته

الورجلاني أبو زكرياء يحيا السدراتي ، كتاب السير واخبار الايمة تحقيق عبد الرحمان ايوب تونس١٩٨٥

بول تروسيه تعريب الهادي بودربالله – المقدمة ٢٠٢٥

بوليفة منصور ، فصوص النصوص، نشر دار سحر ٢٠١٧

سترابون ٨٥ -٢١-٢٥ قبل الميلاد جغرافي اغريقي وصف العالم القديم في بداية الامبراطورية الرومانية

عالم الفكر، المجلد ١٤ العدد٢، ١٩٨٣، الكويت اقوال على كتابات المقريزي سعيد عاشور

عبد العزيز بن عبد الله (١٩٨٠)، معلمة المدن والقبائل في ليبيا.

عبد الهادي التازي (١٩٩٢)، رحلة عبر المغرب والصحراء. الرباط

Forrestفورست، عوائد تطاوين تعريب منصور بوليفة الهادي بودربالله، دار الشنفره ط/اولى ٢٠٢٣

فتحي ليسير نجع ورغمة، مؤسسة التميمي

فريدريك بارث. اندره غينغريتش. روبارت بارك. سيدل سيلفرمان الانتروبولوجيا.الترجمة ابوبكر احمد باقادر . ايمان الوكيلي ص ٣٢١ المركز العربي للابحاث والدراسات ط اولي/٢٠١٧

انظر محمد سعد الشيباني تامزغا _ تاريخ الاباضية

مصطفى اعشى، احاديث هيرودوت المعهد الملكي للثقافة الامازيغية

محمد بن عثمان الحشايشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، حققه محمد المرزوقي، نشر الدار التونسية للكتاب، ١٩٨٨

محمد الطاهر الجراري (٢٠٠٨)، غدامس عبر التاريخ. طرابلس.

محفوظ في ارشيف ، منصور بوليفة ١٢٢٤ ه / ١٨٠٩ م

محمد علي ثامر الثقافة الشعبية .عدد٣٢ السنة التاسعة شتاء ٢٠١٦ ص٦٦

منصور بوليفة، حكمة الجبال السبعة، مخطوط في تحليل رسالة بعثها محمد الصادق باي سنة ١٨٧٠، الأرشيف الوطني

منصور بوليفة، فرسخ الحضارة، دار شنفرة للنشر، ٢٠٢٤، ص ٢٢

يوشع بشير قاسم ، غدامس، ص ١٠

ثانياً– المراجع الأجنبية

Andre. Louis ; étrange cite berbére du sud tunisien Douiret . p 16,std 1975

André Martel, les confins, Saharo-Tripolauos de la Tunisise 1881/19911 - Tome 1

Pfe 1965, P 506-507

Barth, Heinrich. Travels and Discoveries in North and Central Africa. London: Longman, 1857.

Bourgey, Arlette. Architecture en Terre dans le Sahara. Paris: CNRS Éditions, 1981.

Bovill, E. W. (1995). The Golden Trade of the Moors. Markus Wiener.

Fentress, Elizabeth & Wickham, Chris. Social Memory. Oxford: Blackwell, 1992.

Ibid, historien romain, ٥ème siècle avant JC

Guédon stéphanie ; le voyage dans l'afrique romaine : p,161-diffusion de boccard-bordeaux 2010

Hunwick, J. O. (1999). Timbuktu and the Songhay Empire. Brill.

Hunwick, John O. Timbuktu and the Songhay Empire: Trade, Religion, and Knowledge. London: Routledge, 2003.

Leon Pervinquière, La tripolitaine interdite Ghadams, Paris, Librairie Hachette, 1912, p33

Levtzion, Nehemia & Hopkins, J. F. P. Corpus of Early Arabic Sources for West African History. Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

Lydon, G. (2009). On Trans-Saharan Trails: Islamic Law, Trade Networks, and Cross-Cultural Exchange in Nineteenth-Century Western Africa. Cambridge University Press.

Mauny, Raymond. Les Routes de l'Afrique. Paris: Éditions du CNRS, 1961.

Norris, H. T. (1972). The Tuaregs: Their Islamic Legacy and Its Diffusion in the Sahel. Oxford.

Pervinquière Leon, La tripolitaine interdite Ghadams, Paris, Librairie Hachette, 1912

Remini et al., The foggara in the Arab world. Springer.

Stephonie guedon, Le voyage dans l'afrique romain،par boedeaux 2010

UNESCO, Old Town of Ghadamès, World Heritage Centre.

Wright, J. (1984). The Trans-Saharan Slave Trade. Routledge.